

سمير صبري يكشف أسرار أشهر الفنانين في مذكراته

من الإجحاف التنكر للدور الثقافي للجوائز
زيد محافظ: الأديب المُتمكن يكتب من زاوية إنسانية لا سياسية

الرواية هي الصوت الأمين للقصص والأوجاع

مشروعه الروائي بتان وتركيز، وبهمه أن يقدم أعمالاً تحترم القارئ وتشركه في تحليل وتفكيك المشهد القائم، لقناعته التامة بأن الجميع شركاء في تقاسم الهمّ الإنساني، بناء الذات المهمة ومنها أملاً في الغد ركيزة أساسية في مشروعه الروائي، ومن ثم فهو حريص على الكتابة متحرراً من أي حواجز أو خوف العيون التي تراقبه وترصد حركته وتعد عليه كلمات، فلن يكتب شيئاً يستحق الذكر.

ويقول زيد محافظ "الموضوعات التي تركز عليها الأعمال الروائية تكاد تتشابه في ما بينها، فالوطن والمرأة والحرية وقصص الحب والألم الإنساني والخوف من الغد والرهان على القادم، ثيمات أساسية في معظم الأعمال الروائية، لكن ما الذي يميز عملاً عن آخر؟" ويتابع "هذا سؤال متروك لذائقة القارئ، وشعوره بأن عملاً ما دون غيره قد لمس شيئاً عميقاً في داخله، وأن الكاتب الذي لا يعرفه وربما لم تتح له رؤيته أو الحديث معه يوماً يهيج بالكلمات التي تدور في عقل القارئ وينطق بلسانه، كما أن التجريب وتنوع تقنيات الكتابة مسألة لا بد منها، فلكل روائي أدوات تمكنه من تقديم معالجات عصرية للفكرة التي تختصر برأسه".

ويشدد على أن الكثير من الأفكار النبيلة تفقد قيمتها أحياناً بسبب سوء التطبيق، وأظن أن الجوائز الأدبية ليست استثناء، لكن رغم ما يشوب بعض الجوائز من تجاوزات واعتبارات لا تمت للعملية الإبداعية بصلة، إلا أنه من الإجحاف التنكر لدورها في خلق حراك ثقافي سنوي، وتيسيل الضوء على العملية الإبداعية، ومنح الأعمال الفائزة ومبدعها مساحة واسعة للانتشار، وتحفيز الكاتب على التجريب والتوسع في عملية الكتابة، وتناول موضوعات جديدة تعالج الواقع وتقدم قراءات للغد وتحدياته.

وخطاب الكراهية، الهجرات والهويات الضائعة، الاحتلال بابشع صورته، المصير المجهول لكثير من شعوبنا، المآلات الغامضة والغد الذي لا نعرف عنه شيئاً، اللجوء المر ووجع الأطفال والأمهات، الاقتتال والحروب وخسارات الإنسان العربي، هل يستطيع أن يكتب هذا دون أن يجد نفسه اشتبك مع الحدث السياسي والتاريخي؟"

الواقعي والمُتخيل

في مقدمة روايته "سيدة أيلول" كتب محافظ "الأحداث الحقيقية التي وردت في هذا العمل كتبت بصورة متخيلة، أما الأحداث المتخيلة فقد استندت في جزء كبير منها إلى تفاصيل حقيقية، المسألة برمتها في نهاية الأمر، تعزى عزيزي القارئ لنباهتك وسعة خيالك لا أكثر". وعن العلاقة بين الواقعي والمُتخيل في عمله، يقول لـ"العرب" "علي أردت من هذا التنويه أن أفتح الباب للقارئ ليشارك هو الآخر في كتابة أحداث الرواية وتخيّل عوالمها بالطريقة التي يراها مناسبة، فكما ينغمس القارئ في أحداث العمل الروائي يبني لهم العوالم التي يراها مناسبة، وهذا لا يأتي إلا عبر جرعة الخيال التي يحفل بها العمل، عملية القص مهما بدت متجردة لا تأتي من خيال محض، والنص إن لم يستمد ملامحه ومصداقيته من أحداث الواقع، سيظل هلامياً معلقاً في الهواء". ويرى أن المرحح الذي بين ما هو واقعي ومتخيل ليس في أحداث الرواية فحسب، بل في أفكاره وهواجس وتصرفات شخصياتها، هو ما يضيف الكثير من الحيوية على العمل، وقد تغرق الواقعية الإنسان في جفافها وقسوتها وأحياناً بشاعتها ثم يأتي الخيال فينتشلك من هذا كله، وباخذ بيدك بمساحات رحبة وشاسعة، وعلياً تذكر أن الروائي ليس وحده من يقرر ما هو حقيقي أو خيالي، بل القارئ أيضاً، ويكشف محافظة أنه يعمل على

الجراحة فلن تحقق شيئاً يذكر، ومع ذلك فليس الغرض من كتابة الرواية أن تُرضي أحداً، وبشكل شخصي يُفضل الرواية التي تمس الجانب الإنساني في داخله، التي تستقر عميقاً في وجدانه، وتستميله ليحضي مع شخصيتها وكأنه يعرفهم ويعرف حياتهم منذ زمن بعيد، ولا يمكن للرواية أن تصل لهذا المستوى ما لم تملك خطاباً أدبياً صادقا وشجاعاً. كما أن الروائي المتمكن، في رأيه، هو من يعرف كيف يقارب الأحداث من زاوية إنسانية لا سياسية، فالواقعية لها حضورها الكثيف، لكن للأدب أيضاً أدواته وخياله الجامح، وهنا تكمن الصنعة الروائية التي تتيح للكاتب الاشتباك مع الأحداث التاريخية والسياسية دون أن يسمح لها بجزء أو التحكم فيه. وبلغت محافظة إلى أنه اليوم نرى اهتماماً متزايداً بكتابة الأدب الذي يفكك الأحداث السياسية ويقرأ انعكاسها وتأثيرها على مصائر الشعوب في المنطقة العربية على وجه الخصوص، وعلياً أن نحذر من الانجراف وراء الخطاب السياسي أو لغة البيانات والتقارير، فإن فعلنا هذا سننجز أعمالاً أقرب لمشهورات أيديولوجية فقيرة وخشبية ومتحيزة، وأن تكون الحكاية الإنسانية هي الأساس في العمل الروائي، ويظل الصوت الإنساني الأعلى والأكثر حضوراً. يولي الكاتب الأردني اهتماماً واسعاً بالتاريخ وتجلياته في أعماله الأدبية، لكنه يرى أن الروائي الذي يتنقى الأحداث والقصص التي تحلو له، هو شخص غير أمين على حكايا الناس.

ويقول "في كل الأعمال الروائية التي صدرت لي، كان الإنسان هاجسي الأول، والانحياز له ولقضاياها العنوان الأبرز، واهتمامي بالحدث التاريخي والسياسي ينبع في جوهره من تلك العلاقة المعقدة والمشوهة بين كل ما هو سياسي وتاريخي وإنساني في منطقتنا العربية". ويتابع "تلقي نظرة للسوراء قليلاً، ويتذكر كيف تأثرت حياة الشعوب بكل المفصل السياسية والتاريخية بصورة يستحيل فصلها، هل يستطيع روائي أن يكتب المراتر الإنسانية في دولنا ومجتمعنا بمعزل عن هذا كله، أن يكتب عن الكبت والقمع والفساد، التطرف والمشروع الظلامي، التمييز والتشتت

ثمة العديد من الأحداث التاريخية الشائكة يمكن للأعمال الأدبية أن تُقاربها لتسليط الضوء على أثرها، بيد أن الفارق بين عمل روائي جيد وآخر هش، هو المقدرة على توظيف أدوات فنية تحافظ على أدبية العمل ويُتقده من التناول الأيديولوجي المباشر. "العرب" حاورت الروائي الأردني زيد محافظ حول روايته الجديدة "سيدة أيلول" لنقل حقب من التاريخ.

حنان عقيل
كاتبة مصرية

اختار زيد محافظ في رواية "سيدة أيلول" أن ينسج حبكة فنية من خلال قصة حياة امرأة على امتداد ستة عقود من عمرها تعيش خلالها العديد من الأحداث الهامة، منها في هذا الصد إلى أن خيار السرد بلسان أنثى بكل ما يحمله من صعوبة لم يكن قراراً روائياً مسبقاً أو خياراً يسيراً، لكنه يحاول دوماً البحث في الغامض والمجهول، في الدروب الوعرة التي قلما سار عليها الآخرون، لذا تجذبه دوماً المسارات المركبة، ويقف طويلاً عند الأسئلة المحيرة والشائكة.

يقول محافظ في حوار مع "العرب" "في روايتي الأحدث 'سيدة أيلول' كنت أمام تحدٍ حقيقي، كثيراً ما سالت نفسي إلى أي حد سأكون قادراً على فهم هذا العالم الأنثوي المتشابك والمعقد، هل أستطيع أن اتخسس وجع بطاقة العمل وحزنها وألمها وانكسارها؟ هل بمقروني الإصغاء لصوتها الخافت وذاك التشديد الداخلي الذي لا ترغب ربما بالروح به، هل أستطيع أن أكون الصوت الأمين للأنثى، التي مثلت في هذه الرواية على وجه الخصوص صورة الوطن بكل أحزانه وانكساراته ومخاوفه؟"

منطقة محظورة

تبدأ الرواية منذ أحداث أيلول الأسود 1970 وتنتقل من ذلك الحدث والانطلاق نحو أحداث أخرى كان لها أثرها في العالم العربي، ويبن محافظ أن ذلك التاريخ ارتبط في الذاكرة الشعبية الأردنية بأحداث سياسية وأمنية واجتماعية مشوشة ومؤلمة، وظلت تلك الفترة الزمنية وللسنوات طويلة أشبه بمنطقة محظورة، يتفادى الجميع ذكرها أو الاقتراب منها وكأنها بيت مهجور، لكنه اختار كتابة عمل يتناول قصص الناس وانعكاساتها على حياتهم.

ويضيف محافظة "الرواية مشروع يقوم على تحويل الأحداث والتفاصيل والقصص البسيطة إلى نص إنساني قابل للتأمل، فإن تبدأ الرواية من أحداث أيلول 1970، كان أمراً فرضته الحكاية وليس أنا، بالتالي من قرر هذا هم أبطال الرواية أنفسهم، هم من أرادوا البوح وقص شريط الافتتاح بدءاً من تلك الفترة، لذا ليس من حقي كروائي أن السوي عنق الرواية، أو أحرف مساراتها وأعبث بمصداقيتها إكراماً لتخوفات لا أساس لها".

ومازال محافظة عند قناعته بأن الرواية أصدق وسيلة يحكي بها حكاياته، فهي الصوت الأمين للقصص والأوجاع، وصوت البسطاء الذين يدفعون على السدوم ثمن الحماقات والمغامرات السياسية دون أن يتاح لهم سرد حكايتهم بكل ما فيها من صق وعقوبة وضعف وهشاشة. والولوج إلى منطقة من الاستبيكات السياسية النابضة في ما وراء التاريخ خياراً على أهميته يحتاج إلى درجة من البصيرة الفنية للكاتب بحيث لا ينجرف العمل نحو صبغة توثيقية مباشرة. وفي هذا الصد يشير محافظ إلى أن الرواية ما لم تثر العديد من الأسئلة

المعروف إن عبدالحليم ظل معتقداً في صحة هذا الزعم واستجاب لمطلبه في المشاركة في تصوير فيلم "حكاية حب"، حيث ظهر لأول مرة بين الكوميديين الذين يظهرون في أغنية "بحلم بيك" مع الإعلامية أمال فهمي، وبفضل عبدالحليم حافظ أيضاً تعرف سمي صبري على الفنانة لبنى عبدالعزيز وشارك في برنامجها الإذاعي "ركن الأطفال"، وبدأت منه رحلته مع الإذاعة.

ولأول مرة يروي سمي صبري أسباب إخفاء خبر زواجه وحقيقة وجود ابن له يعيش في إنجلترا، وينشر صوراً لأفراد أسرته، مؤكداً أن الفن "سرق حياته"، ويعترف بأنه أحب 3 فنانات لم يصرح بأسمائهن في الكتاب.

ويركز الفنان والإعلامي المعروف على سنوات نشأته وتكوينه في مدينة الإسكندرية، معتبراً أن الطابع التعددي للمدينة ساعد على إبراز مواهبه وتأهيله ثقافياً للانخراط في الحياة الفنية بعد ذلك، لافتاً إلى دور عائلته التي اتاحت له تعليماً متميزاً في كلية فيكتوريا التي تخرجت منها أسماء بارزة منها الملك حسين عاهل الأردن الراحل والفنانون عمر الشريف وأحمد رمزي ويوسف شاهين، وخلال سنوات التكوين هيأت العائلة أمامه مكتبة زاخرة بمختلف المؤلفات في كافة مجالات العلم والأدب.

وعبر 304 صفحات يثمن سمي صبري أدواراً لعبتها أسماء مهمة في دعم مسيرته ووقفت إلى جواره عند ظهور كـ"مذيع" لأول مرة، وأولها وزير الإعلام المصري الراحل الدكتور عبدالقادر حاتم، المعروف بابو الإعلام المصري، والإعلامية الراحلة أمال فهمي والإعلامي الراحل جلال معوض، إضافة إلى ليلي رستم أشهر مذيعات التلفزيون المصري عند تأسيسه.

ويشيد صبري بدور المخرج حسن الإسماعيل في حياته حيث أسند إليه أول بطولة سينمائية ومكته من تجاوز الأدوار الصغيرة، كما يوضح صوراً من الدعم الذي وحده من الآخوين علي ومصطفى أمين.

ويذكر صبري أن التجارب التي غيرت حياته كانت نتيجة لمصادفات، فقد جاء للقاهرة بعد مصادفة انتقال والده للعمل فيها بدلاً من الإسكندرية، وبسبب مصادفة تواجد في كواليس حفل افتتاح مهرجان التلفزيون الدولي الأول، تقدم ليلعب دور المذيع بعد أن تسببت ليلي رستم في أزمة كادت تؤدي لانسحاب نجوم الحفل، لكنه انقذ الموقف ووصفته الصحافة بـ"صانع البهجة" الذي لمع ليلة افتتاح المهرجان رغم أنه كان آنذاك لا يزال طالباً في السنة الأولى بأداب الإسكندرية.

وبسبب صدفة أخرى طلبت منه لبنى عبدالعزيز أن يمثل في فيلم "الرص والكلاب" مع المخرج كمال الشيخ الذي شجعه على تكرار التجربة مؤكداً أنه أمام "ممثل رائع".

وطوال مسيرته نال سمي صبري العديد من الجوائز والتكريمات أبرزها تكريم مهرجان القاهرة السينمائي الدولي عام 2018، وقد وصفه الراحل أنيس منصور بـ"سفير الحب"، وقال عنه يوسف إدريس: الفنان صديق الكاميرا، أما الروائي خيرى شلبي فقد رآه "عاشق الفن الذي لا يهدأ".



فنان ساعدته الصد

القاهرة - يكشف الفنان سمي صبري في مذكراته التي صدرت عن الدار المصرية اللبنانية في القاهرة تحت عنوان "حكايات العمر كله" أسراراً كثيرة عاشها في كواليس الحياة الفنية والسياسية عبر رحلة امتدت لما يقرب من نصف قرن.

ويؤكد الكتاب قصة زواج سيدة الغناء العربي أم كلثوم من الملحن الراحل محمود الشريف، وكيف أصبحت خطاً أحمر عند مصطفى أمين، ويردح الستار عن وقائع أخرى منها الأسباب التي دفعت عبدالحليم حافظ للترجع عن قراره بالزواج من الفنانة سعاد حسني، بعد أن شاهد صورته مع ممثل عالمي كانت تؤدي أمامه دوراً سينمائياً مما أثار غيرة العدليلب الأسمر، الذي كان يقضي لياليه يفتش عن "السنديلا" في سهرات أصدقائه.

الكتاب يصور بانوراما شيقة للنماخ الفني والإعلامي في مصر منذ عصر جمال عبدالناصر وإلى غاية اليوم

وينفي الكتاب قصة انتحار سعاد حسني في لندن، مستعرضاً تفاصيل أيامها الأخيرة.

ويصور الكتاب بانوراما شيقة للنماخ الفني والإعلامي في مصر منذ عصر جمال عبدالناصر وإلى الآن، موضحاً العلاقة الوثيقة بين الفن والسياسة في حياة النجوم أمثال عمر الشريف وداليدا واليزابيث تايلور وفاتن حمامة ومحمد فوزي وشادية وهند رستم وصباح وفريد الأطرش وعادل إمام والمطربة وردة وبلبل حمدي وميرفت أمين.

وشمل الكتاب مقدمتين، كتب الأولى وزير الآثار السابق الدكتور زاهي حواس، فيما كتب الثانية الكاتب والإعلامي مفيد فوزي، كما شمل ملحقاً للصور التي تجسد رحلة المؤلف.

ويحكي صبري قصة خروج أول برنامج تلفزيوني قدمه إلى النور بعنوان "النادي الدولي" خلال ستينات القرن الماضي، واستضافة أبرز الشخصيات العربية والمصرية ومن بين هؤلاء السلطان قابوس، حاكم سلطنة عمان الراحل، والشيخ زايد آل نهيان مؤسس دولة الإمارات العربية المتحدة الراحل، وكذلك الكاتب توفيق الحكيم الذي ظهر على شاشة التلفزيون في إطلالة وحيدة مع سمي صبري الذي انفرذ كذلك باخر لقاء أجراه مع الإمام موسى الصدر. ويستعرض سمي صبري الأسباب الحقيقية التي أدت إلى توقف برنامجيه الشهير بامر مباشر من الرئيس أنور السادات، ومدى صحة علاقة الفنانة فيفي عبده بهذا القرار الذي غيبه عن الشاشة، قبل أن يعود للظهور مرة أخرى في عصر مبارك عبر برنامج بعنوان "هذا المساء".

ويعترف صبري بأنه خدع العدليلب في اللقاءات الأولى، وزعم أنه صبي إنجليزي اسمه بيتر يسكن مع عائلته في نفس البناية. ويقول الفنان والإعلامي

